من مكرمات الزمن علينا أننا عشنا سقوط «صدام»

• بقلم: صالح الشايجي
katebkom@gmail.com

للآخرين عيون يروننا بها..
ولنا عيون لا نرى بها أنفسنا!

الثورات إن طالت
تقتل ثوارها

حاول أن تصمت
حين يتحدث السفهاء

نصيحة من حبر

لا تلتفت إلى الخلف كثيرا..فقد تتسمر عيناك في الوراء ولا تعود ترى أمامك فتتعثر في مسيرك..

□ □ □

تلك نصيحة مجانية.. لم تكلف سوى الحبر الذي خطت به.. ولكنها ذات ثمن غال عند من يعمل بها..ويحصد نتائجها..

□ □ □

ما أكثر المتلفتين إلى الخلف.. الشاخصين بأبصارهم إليه.. المستعيدين أمجاده أو أمجادهم فيه..
أولئك الذين يفعلون ذلك.. ويداومون على النكوصية.. إنما هم يفعلونه لأن رحم حاضرهم قد عقم وجف ويبس.. فلم يعد يلد لهم شيئا من «أمجاد» مخبوءة في ذاكرة ماضيهم «..أمجاد» قد تكون حقيقية أو قد تكون «أمجادا» متوهمة..
وعادة الإنسان.. كراهية الفراغ والسكونية والرتابة والجمود.. فهو لذلك يحارب تلك الخرائب.. أو أنه يحاول محاربتها..
والإنسان الصحيح السليم يحاربها بعكسها ويبددها بالخلق والعمل والإنجاز والحضور الفاعل وأن يكون مصدرا للإشعاع تدركه العيون ويلفت الأنظار إلى وجوده.. فيتعافى ويصح ويبدد تلك الخرائب ويحطم بيوت العنكبوت التي يعيش فيها..
أما العليل ذو العلة.. السقيم الذي هده اليأس من الحاضر.. والعاجز أن يكون يدا فاعلة.. أو لسانا ناطقا من ألسنة الحاضر..
فإنه هو الذي يكثر الإلتفات إلى الخلف ومن غناء مواويل الوراء والإنشاد في ساحة الماضي التي ينشد فيها وحيدا دون جمهور يطرب لإنشاده ويصفق لمواويله..
إن خواء الحاضر.. لا يعني بالضرورة غنى الماضي.

□ □ □

العدوى الحميدة

اللحظات التاريخية في الحياة عامة، نادرة.. بل هي شديدة الندرة.. أما في حياة الإنسان الفرد، فهي شبه معدومة الحدوث وإن عاش أحد ما من البشر لحظة منها أو مر عليه موقف واحد، فقد لا يعيش موقفا آخر ولا تمر عليه لحظة تاريخية أخرى..
ولطالما عاش خلق كثيرون امتد بهم العمر طويلا دون أن يمروا بمثل تلك اللحظات التاريخية والمفصلية والحاسمة.. ودون أن يعيشوا حدثا ضخما مزلزلا تنطبق عليه صفة اللحظة التاريخية..
ونحن الأحياء في هذا الزمن وأعني يومنا هذا أو وقتنا هذا.. عشنا كثيرا من مثل تلك اللحظات التي سآتي على ذكرها لتعداد كم الفخر والفرح الذي علينا أن نعيشه وكم الامتنان الذي يجب أن نحس به وقد أكرمتنا الحياة بجودها الكثير ذاك..
ومن مكرمات الزمن علينا.. ومن تلك اللحظات التاريخية..أننا عشنا سقوط «صدام حسين».. الذي ظن أنه باق أبدا وأنه جبل أشم أصم تتزلزل الأرض ولا تزل قدمه قيد أنملة..
وشهادة مثل هذا الأمر مبعث فخر وسعادة لكل من عاشه..

□ □ □

وعامنا هذا 2011 جعلنا شهودا على لحظات تاريخية ومفصلية وملهمة تمثلت في الثورات الشعبية العربية. .وهي ثورات من صنع الناس أنفسهم.. لم يتم التخطيط لها في أقبية مظلمة..
ولا رسم خطوطها عساكر يأتمرون ويتآمرون من أجل الفوز بالبلاد وحلب ضرعها.. والتاريخ العربي في القرن العشرين حفل بالكثير من مثل تلك الانقلابات المشئومة التي جرت الويلات على بلدانها.. وسميت زورا بالثورات والثورة منها براء..
إن ثورات 2011 هي ثورات من صناعة شعبية..عليها بصمات الناس.. وتتكلم بألسنتهم ولم تستعر لغة أخرى لتعبر عن نفسها..
هي ثورات نضجت على جمر يلتهب في الصدور الصابرة حينا في إثر حين.. ويوما في إثر يوم.. وساعة في عقب ساعة..
ولكن الزمن، حين يصير أحيانا.. ويوم يصير أياما.. وساعة تصير ساعات..
وهذه الأحيان والأيام والساعات هي التي شكلت زمن الثورة..
إن زمن الثورة قصير.. والثورات إن طالت تقتل ثوارها..
إن الثورة فكرة في الرأس.. ونار في الصدر.. والنار إن لم تلق بعيدا عن مكمنها تقتله..فكيف إذا ما كان الصدر هو المكمن مكمن الثورة

□ □ □

اشتعلت أولا الثورة التونسية..
زرع شرارتها الأولى أواخر العام المتباهي بحلة الفخر والثورة الخالصة لوجه الشعب أعني عام 2010 الشاب التونسي «محمد البوعزيزي»..
ولم تكن تلك الشرارة سوى جسده الحي الذي قدمه قربانا على مذبح الحرية.. فطارت الشرارات من حي إلى حي ومن صدر إلى صدر ومن جسد إلى جسد.. حتى اتحدت الأجساد الميتة لتصنع الحرية للأحياء..
انحنت رؤوس الأصنام اليابسة..وتدانت قاماتهم الحجرية..
ونطقت ألسنتهم من بعد الصمت المزمن..ودارت عيونهم في الفضاء القريب.. فرأت ما لم تكن تظنه موجودا.. وسمعت آذانهم أصواتا كانت تظن أنها قد طمست منذ حين..
وولت الأصنام الأدبار.. فرارا من جحيم الثوار..
غنمت الأصنام عرق الشعب ولكنها ما غنمت من احترامه لحظة واحدة ولا كلمة يتيمة.. بل إن اللعنات طاردت أولئك الأصنام في كل مقر ومفر..
وانتصرت ثورة «البوعزيزي»..
انتصرت الثورة التونسية..
تحققت نبوءة ذاك التونسي القديم «أبي القاسم الشابي».. الذي تنبأ بـ «استجابة القدر للشعب.. حين يريد الشعب الحياة»..
وكان عيد الثورة في 2011/1/14..
في ذلك المساء.. حلقت طائرة «بن علي» في سماء متجهمة..
تبحث عن أرض تعصمها من طوفان الغضب التونسي..
فكانت النهاية..

□ □ □

وللثورات عدوى.. ولكنها عدوى حميدة.. فهي مثل الأمراض سريعة الانتقال.. وشراراتها تطير متسارعة.. والصدور المشتعلة بثوراتها كثيرة..كثيرة..
طارت شرارات تلك الثورة لتشب في الحطب المصري المتواري وراء فضيلة الصبر..
فكانت «مصر» هي المحطة الثانية في مسيرة قطار الثورة العربية..
كان «ميدان التحرير» هو الموقد الكبير الذي تساقط فيه وعليه حطب الثورة.. وبدأ يتقد شيئا فشيئا..
كان خجولا في بدئه.. ولكن النيران هكذا طبائعها تبدأ صغيرة ثم تكبر..
في البدء كان الاعتصام.. ثم صار هذا الاعتصام ثورة تهدر بمطالبها.. وسقط الشهداء.. ولكن الثورة لم تمت..
قافلة الثوار أعدت للشهداء أماكنهم العليّة.. وحسبت للموت الكريم حسابه..
لابد للثورات من أنوار تقيها التعثر.. وتشعل ظلمة لياليها.. فكان الشهداء..هم تلك الأنوار التي تُلهم الثورة طريقها الصحيح..

□ □ □

لست أكتب ما أكتب تحت زعم التأريخ لهذه الثورات التي تثقل على الأقلام كتابتها.. مثلما تعجز الأفهام عن إدراكها.. وتصور حدوثها بمثل هذا الإيقاع السريع جدا الذي هزهزها وهزهز معها قلوبنا وقلّب أبصارنا وأعجز أفهامنا..
إنما أكتب بقصد التذكير بأننا نعيش لحظات مفصلية وتاريخية..
تكتب فيها الشعوب العربية المظلومة أقدارها.. وتتحرر من أصحاب السياط الحارة.. والمفسدين في الأرض.. وخربي الذمم..
والساطين على العروش بلا وجل ولا خجل..
أكتب للتنبيه أو لمجرد التنبيه بأننا نعيش زمنا تاريخيا.. وليس فقط لحظات تاريخية..

□ □ □

فاكهة الكلام

بناة القصور.. يموتون.. وتبقى من بعد موتهم.. قصورهم..
وبناة العشش.. تفنى عششهم ويبقون هم أحياء..

□ □ □

اليأس.. انتحار غير معلن..

□ □ □

حاول أن تصمت.. حين يتحدث السفهاء..
وحاول أن تسمع.. حين يتحدث البلغاء..
وحاول أن تفهم.. حين يتحدث الحكماء..

□ □ □

أن تنثر الورد على قبور الموتى.. فتلك فضيلة..
أما أن تنثر الورد بين الأحياء.. فتلك هي الفضيلة الكبرى..

□ □ □

للآخرين عيون يروننا بها.. ولنا عيون لا نرى بها أنفسنا..

□ □ □

الصبر.. جمر كاذب.. أحيانا..